رحيل

أنس دوراكوفيتش الثقافة في زمن الحصار والقصف

من سراييفو إلى غزّة

ينتمي الناقد والأكاديمي البوسني، الذي رحل عن عالمنا الأسبوع الماضي، إلى الجيل المؤسّس للنهضة الثقافية للبشناق في يوغسلافيا الثمانينيات، وكان في طليعة مثقفي بلاده الذين دافعوا عن استقلالها، ووقفوا في وجه ما تلاه من تطهير عرقي على أيدي الصرب

محمد م. الأرناؤوط

نعَت الصحافة البوسنية، قبل أيّام، الناقد والأكاديمي أنس دوراكوفيتش (1947 - 2024)، الذي ينتمي إلى الجيل المخضرم المولود في بدايات يوغسلافيا التيتوية، وشارك في النهضة الثقافية للبشناق التي برزت بعد رحيل تيتو عام 1980، وصولاً إلى المشاركة في حكومة الاستقلال (1993 - 1996) وزيراً للتعليم والثقافة. وكانت هذه مناسبة لاستذكار سنوات الحصار والقصف البربري على سراييفو (1992 - 1995)، وكيف عاشه المثقّفون حينها، في الوقت الذي تتابع فيه الصحافة البوسنية اليوم الحصار والقصف الذي يُدمّر مؤسّسات التعليم والثقافة في غزّة.

وُلد دوراكوفيتش في قرية «بوليه»، في شمال البوسنة قرب الحدود مع كرواتيا. وبعد تخرُّجه من المدرسة الثانوية، انتقل إلى سراييفو ليدرس الأدب في جامعتها، وانضمّ عام 1973 إلى قسم آداب شعوب البوسنة والهرسك حتى تقاعُده في 2012. وقد برزت مواهبه الأدبية خلال الدراسة الجامعية، حيث أصبح مُحرّراً للجريدة الشبابية «ليتسا»، قبل أن يُتابع دراسة الماجستير والدكتوراه في الجامعة.

وفي هذا السياق، نشر عام 1979 رسالته للدكتوراه، بعنوان «خطاب وصمت الأسرار: النتاج الشعري لماك دزدار»، وهو الشاعر محمد علي دزدار (1917 - 1971) أحد أعظم الشعراء البُشناق والبوغسلاف في النصف الثاني من القرن العشرين. ومع انخراطه في حركة الانبعاث الثقافي البشناقي بعد رحيل تيتو عام 1980، يُلاحَظ أنّ كتابه الذي صدر عام 1991 حمل عنوان «مختارات من شعر المسلمين»، بينما حمل كتابه الصادر عام 1995 عنوان «مختارات من القصّة البشناقية»، ليوضّح هذا الانعطاف الثقافي الذي صاحَب الاستقلال السياسي للبوسنة عام 1992.

عمل دوراكوفيتش أستاذاً في قسم آداب شعوب البوسنة، التي كانت السلطة العُليا في البلاد تفرض، وحتى عام 1991، على الأغلبية فيها (البُشناق) اسمَ «الشعب المسلم» بالميم الكبيرة Musliman، تمييزاً عن المسلمين بالميم الصغيرة muslman أي الذين ينتمون إلى دين الإسلام؛ وفي الواقع كان هذا يعبّر عن ازدراء شعب الأغلبية وحرمانه من التعبير عن هويته القومية البشناقية التي اشتهر بها عبر التاريخ. ومن هنا كان دوراكوفيتش أحد مؤسّسي وقادة «مؤتمر المثقّفين البشناق»، الذي عُقد في 1991 وأعاد حقّ التعبير للبشناق عن هويّتهم. ولذلك فقد صدر كتابُه اللّاحق عام 1995 بعنوان ينسجم مع هذا التحوّل التاريخي: «مختارات من القصّة البشناقية».

ومع إعلان استقلال البوسنة عام 1992، الذي جرى في ظروف عصيبة خلال تفكُّك كلّ يوغسلافيا، انضمّ إلى الحكومة الأولى التي شكّلها الأكاديمي والسياسي حارث سيلايجيتش بين عامَي 1993 و1996، وزيراً للتعليم والثقافة، إيماناً بأنّ الحرب التي فُرضت على البوسنة تشمل الجبهة الثقافية أيضاً وليس العسكرية فقط. وهنا تُذكر إسهامات دوراكوفيتش في الاهتمام بإنجاز كُتب مدرسيّة جديدة تعبّر عن الانتقال السياسي والثقافي الذي حصل في البوسنة مع استقلالها.

تحرير الثقافة هدفاً للحصار والقصف

لم تدُم الفرحة في سراييفو بإعلان الاستقلال سوى عدّة أسابيع، إذ بدأ في الخامس من نيسان/ إبريل 1992، الحصار الصّربي الذي دام حتى التاسع والعشرين من شباط/ فبراير 1996، أي أنه كان أطول بثلاث مرّات من حصار ستالينغراد. وبالمقارنة مع ستالينغراد، كانت سراييفو في حوض من السهول التي تُحيط بها الجبال من أطرافها، وهي التي تمركزت فيها المدفعية الصربية التي راحت، على مدى 1425 يوماً، تدكّ المدينة، بالإضافة إلى القنّاصة الصّرب الذين كانوا يستهدفون الأفراد.

> عبّرت كتاباته عن انعطاف ثقافي صاحَب استقلال بلاده
>
> كان من مؤسّسي «مؤتمر المثقّفين البُشناق» عام 1991

كان الحصار مُحكماً والقصف لا يشمل السكّان فقط، بل المؤسّسات الثقافية التي تحفظ ذاكرة الشعب وإسهام أفراده في الإبداع والتعبير عن الهوية. ولذلك لم يكن مفاجئاً أن تقصف المدفعية الصربية في أيار/ مايو 1992 «المعهد الشرقي» في سراييفو الذي كان يحتفظ بأكبر مجموعة من المخطوطات الشرقية التي أسهم البشناق في نسخها أو تأليفها، وحَوّل المعهد إلى أنقاض، مثما أعدم إلى الأبد أكثر من خمسة آلاف مخطوط.

وفي هذا السياق أيضاً، قصفت المدفعية الصربية، في الخامس والعشرين من آب/ أغسطس 1992، «المكتبة الوطنية» في المبنى التاريخي الذي كان يُزيّن سراييفو، ويضمّ قرابة مليون كتاب تشمل التراث الثقافي للبوسنة. كان منظر «المكتبة الوطنية» وهو يحترق، وهو يوم لا يُنسى في تاريخ سراييفو، قد كشف عن أنّ الحصار والقصف يُريد أن يمحي أيضاً ذاكرة الشعب وليس الشعب نفسه الذي تكفّل به التطهير العرقي، وهو التعبير الذي شاع في العربية مع حرب البوسنة.

على أكثر من جبهة ثقافية

في نعيه للراحل، استذكر الأكاديمي أسعد دوراكوفيتش (الذي لا يدلّ الاسم المُشترك على قرابة بينهما) أيّام الحصار والقصف المتواصل مع صديقه أنس دوراكوفيتش الذي كان يعمل على أكثر من جبهة ثقافية في الوزارة، وفي مشروع العمر «الأدب البشناقي في مئة كتاب» بالإضافة إلى الندوات والمناقشات الكثيرة التي كان يحرص على حضورها.

وذكّر أسعد دوراكوفيتش كيف أنّه وآخرين من المثقّفين الآخرين كانوا يُصرّون على الدفاع عن الجبهة الثقافية بتنظيم الندوات والمؤتمرات، ويذهبون إلى مكان انعقادها تحت القصف والقنص وهُم لا يعرفون إذا ما كانوا سيصلون إلى مكان انعقادها أم لا، وحتى إذا وصلو إليها وشاركوا فيها كانوا غير متأكّدين من العودة سالمين إلى بيوتهم. ولكن كلّ ذلك لم يُطفئ فيهم الحماس، ولم يسمحوا للخوف الداخلي أن ينتصر عليهم ويُبقيهم ببيوتهم في انتظار المجهول.

(كاتب وأكاديمي كوسوفي سوري)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

أنس دوراكوفيتش (1947 - 2024)

الدفاع بالكلمة

في نعيه للراحل، استذكر الأكاديمي أسعد دوراكوفيتش (الذي لا يدلّ الاسم المُشترك على قرابة بينهما) أيّام الحصار والقصف المتواصل مع صديقه أنس دوراكوفيتش، كيف أنّه والمثقّفين الآخرين كانوا يُصرّون على الدفاع عن الجبهة الثقافية بتنظيم الندوات والمؤتمرات، ويذهبون إليها تحت القصف والقنص وهُم لا يعرفون إذا ما كانوا سيصلون أم لا، وحتى إذا وصلوا وشاركوا فيها كانوا غير متأكّدين من العودة سالمين إلى بيوتهم.

ندوة

مستقبل تؤسّس له أسئلة الراهن

فلسطين وتفكيك البُنى الاستعمارية

تناول المشاركون في ندوة عقدها «المجلس العربي للعلوم الاجتماعية»، الأربعاء الماضي، قضيّة فلسطين في ضوء نظرية معرفية تؤسّس لمستقبل تحرّري

بيروت ـ **العربي الجديد**

ضمن سلسلة ندوات ينظّمها «المجلس العربي للعلوم الاجتماعية» في بيروت عبر منصّة «زوم»، عُقدت مساء الأربعاء الماضي جلسة بعنوان «تفكيك البُنى الاستعمارية: تخيّلات مستقبلية من خلال فلسطين»، شارك فيها الباحثان: اللبناني فادي برديويل والمصرية هدى الصدّة وأدارها الباحث الفلسطيني محمد باميه، وبُثّت عبر صفحة المجلس على «فيسبوك».

انطلق الأستاذ المُشارك للدراسات العربية في «جامعة ديوك» الأميركية، فادي برديويل، في مداخلته، من مقولة للصحافي اللبناني الراحل جوزيف سماحة، أوردها في كتابه «سلام عابر: نحو حلّ عربي للمسألة اليهودية» (1994)؛ مفادها أنّ «تراجُع المطلب الفلسطيني يؤشّر إلى تراجُع المطلب القومي العام»؛ حيث اعتبر برديويل أنّ «المطلب القومي هو مشروع النهضة العربية بما هو محاولة الأمّة للخروج من آثار التبعية والتخلّف، وعليه فإنّ الموقف من فلسطين يُشكّل ميزان الحرارة للتقدّم أو الانحطاط العربي».

كما تناول المُتدخّل كتابات غسان كنفاني بُعيد الهزيمة في 1967، حيث تحدّث الروائي والناقد الفلسطيني الشهيد في «دار الندوة» ببيروت في آذار/ مارس 1968 عن «اللغة العمياء»، وعن الجسد والإنسان العربي، قائلاً: «أمّا القارّة العربية فحقّقت خلال ربع القرن، الذي سارت خلاله إلى العصر الحديث، واحدة من معجزات التطوّر في التاريخ، فوق أرض من وحول التخلّف المُظلم، امتدّت في حياتها أكثر من خمسمائة سنة». واعتبر برديويل أن نصّي سماحة وكنفاني «ينتميان إلى منظومة سياسية تضع فلسطين في قلب مشروع التحرّر، الذي يسعى إلى تصفية آثار التجزئة والتبعيّة للاستعمار».

ولفت المُحاضر إلى أنّ هناك عدّة أسباب لأفول هذه المنظومة المعرفية السياسية، التي وقعت قضية فلسطين في قلبها، هناك فيتنام وفلسطين، وأنا اخترتُ فلسطين».

وأضاف: «تكمن ديمومة فلسطين كجُرح نازف في رفض تطبيع الاستعمار كحالة. وإن كان عالمُنا ما يزال يقوم على قسمة بين مراكز وأطراف، إلّا أنّنا في عالم عُقدي، وبالتالي فإنّ فلسطين هي القضية الكونية اليوم، ليس لأنها قضيّة عادلة، بل لأنّ ماضيها القريب وحاضرها يشكّلان شهادة حيّة على عنف التراكم الأوّلي للاستعمار الذي وُلد منه عالمنا الحديث». وهُنا استشهد الباحث برواية «تفصيل ثانوي» لعدنية شبلي، للتدليل على العلاقة التي تؤسّس وتصل بين الماضي والحاضر،

> شهادة حيّة على العنف الاستعماري الذي وُلد منه العالم الحديث

«لكنّ ما انهار أيضاً هو عالم معرفي كامل، مبنيٌ على نظرة تقدّمية للتاريخ، قامت مشاريع النهضة والتحرّر الوطني على أسسها؛ فالانتقال من الظلمة إلى النور، ومن البُنى المُفوّتة إلى الحداثة، أساسه أنّ العمل السياسي في الحاضر يمحي الماضي ويؤسّس لمستقبل زاهر». وتراقُب أفول المنظومة المعرفية، كما أضاف برديويل، مع «بؤس المعسكر الاشتراكي وانهياره، وتنامي الأنظمة الاستبدادية والحروب الأهلية التي مزّقت المجتمعات المتحرّرة من الاستعمار، وصعود الشعبويات اليمينية في العالم، والارتداد على مكتسبات دولة الرعاية الاجتماعية. كلّ هذا أسهم في طيّ الإيمان بتقدّم البشرية نحو مستقبل أفضل».

وقد مثّلت الثورة الفلسطينية في ستّينيات وسبعينيات القرن الماضي، حسب الباحث، «جزءاً من كوكبة الثورات في العالم الثالث، كثورتَي فيتنام والجزائر»، واستشهد بمقولة لأحد المُخرجين اليابانيين الذين التحقوا بالثورة الفلسطينية: «في زمني كان

صور لشهداء من غزّة في ميدان «غيلدهول» ببورتسموث البريطانية، 7 شباط/ فبراير 2024 (Getty)

وبمقولة لغسان أبو ستّة مفادها أنّ «الإسرائيليين يستخرجون قيمة التراكم الرأسمالي من أرواح وأجساد الفلسطينيّين»، حيث يطوّرون أسلحتهم من خلال أجساد الفلسطينيّين.

وختم بالقول إنّه «يُمكننا النظر إلى القضية الفلسطينية بعيداً عن التاريخانية والهوياتية، وأبرز مثال على ذلك دعوى جنوب أفريقيا التي تنطلق من موقف إنساني لا علاقة له بروابط الدم والدين. وأهميتها تأتي من فتحها كُوىً لمستقبل أكثر عدالة، ودحض النظريات العدمية».

بدورها، أشارت الباحثة هدى الصدّة إلى «أنّ مفهوم التنمية الذي اعتمدته وروّجت له الأمم المتّحدة هو مفهوم ليبرالي بامتياز، وكان المطلوب منه نزع السياسة عن فعل التغيير، والخلاص الفردي، وهذا ما انعكس أيضاً على المجالات البحثية».

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

معرض

أيمن الأزرق بحث في أشرطة نرويجية مفقودة

أرشيف بصري لمحاكمة مجرمي صبرا وشاتيلا

يضمّ المعرض، المُقام في أوسلو، أرشيفاً جمعه الفنّان الفلسطيني حول محاكمة شعبية لمنفّذي المجزرة، أُقيمت في النرويج بعد شهرين من ارتكابها

أوسلو ـ **العربي الجديد**

في عام 1982، أُقيمت محاكمة شعبية في أوسلو للقتلة الذين ارتكبوا مجزرة صبرا وشاتيلا بدءاً من السادس من أيلول/ سبتمبر من تلك السنة وعلى مدار ثلاثة أيام. أدلى أكثر من ستّين شخصاً ممن شهدوا المجزرة بشهاداتهم، كما قُدّمت خلال المحاكمة أدلّة الطب الشرعي على المقتلة بعد شهرين من ارتكابها. كان الكاتب الفرنسي جان جينيه أحد الذين قدّموا شهاداتهم في تلك الواقعة؛ حيث روى أمام الحاضرين، بدقّة، جرائم الحرب التي رآها بأمّ العين، إلى جانب شهادات أخرى مدعومة بالصور والوثائق التي تفصّل قيام مليشيا الكتائب اللبنانية بقتل المدنيّين الفلسطينيّين في المخيّمين الواقعين غرب بيروت، بمساعدة جنود الاحتلال الإسرائيلي الذين حاصروا المخيّمين وعزلوهما عن العالم. اختفت التسجيلات التي توثّق المحاكمة عن الرأي العام لعقود عدّة، قبل أن ينفض عنها الفنّان الفلسطيني أيمن الأزرق الغبار ويقدّمها في معرضه «الأشرطة المفقودة لمحكمة الشعب، 1982»، الذي افتتح في «غاليري الصور» بالعاصمة النرويجية، مطلع كانون الأوّل/ ديسمبر الماضي ويتواصل حتى الرابع من آذار/ مارس المقبل.

يضمّ المعرض أرشيفاً فريداً؛ حيث جمع الفنّان صوراً فوتوغرافية للشهود والمشاركين في المحكمة، وتسجيلاتها كاملة تزيد مدّتها عن أربع عشرة ساعة، إلى جانب ملصقات ونصوص ومقالات تتعلّق بسير المحاكمة، توضّح للمشاهد السياقات السياسية التي شهدتها النروج، وعدد من الدول الأوروبية، في تلك الفترة.

كما يثير المعرض جملة من التساؤلات التي تتّصل باللحظة الراهنة، حيث تحاكم «إسرائيل» دولياً لارتكابها جرائم إبادة بحقّ الشعب الفلسطيني في غزّة، وسط تشكيك في إمكانية تحقّق العدالة بسبب الانحياز الغربي لكيان الاحتلال، إذ إنّ المواد المعروضة تكشف تالياً لجنة دولية مستقلّة اجتمعت في أوسلو من ستّة أعضاء من البرلمان البريطاني، بالإضافة إلى خمسة أساتذة قانون من الولايات المتّحدة وفرنسا وإيرلندا وإيكلترا وألمانيا الغربية، وجرى تكليفهم بالتحقيق في انتهاكات القانون الدولي في لبنان.

> روى جان جينيه أمام الحاضرين جرائم الحرب التي رآها بأمّ عينه

وكانت الترويج قد أرسلت حينها بعثات طبّية وصحافية لمتابعة الأحداث عقب مجزرة صبرا وشاتيلا، ما قد يفسّر اختيارها مكاناً لهذه المحاكمة. لكن الملاحَظ، بحسب ما تقدّمه وثائق المعرض، افتقار موقع الجلسات إلى البنية التحتية اللازمة لمحاكمة جرائم الحرب والجرائم ضدّ الإنسانية، لكنّه شكّل فضاءً للاستماع إلى روايات الشهود بشكل مستقلّ وخارج نطاق الولاية القضائية، لذلك جرى تجاهل مخرجات تلك الجلسات من قبل المؤسّسة الرسمية، بعيداً عن تهرّب الحكومات الغربية عن إدانة واضحة لجرائم «إسرائيل»، وتحميلها تبعات قانونية وسياسية لذلك، فإنّ المعرض «يقدّم معلومات كافية حول حركات التحرّر ودور الفن والثقافة في تشكيل أرشيفات، يتمّ تقديمها لأوّل مرّة لتكون في متناول الجمهور»، بحسب بيان المنظّمين الذي يشير إلى أنّ الفن يلعب دوراً حيوياً في الشفاء من الآلام، والتذكّر حتى عندما يبدو ذلك مستحيلاً، كما هو الحال في اللحظة الراهنة.

من المعرض

فعاليات

يحتضن «المتحف الوطني الفلسطيني» في بيرزيت، ابتداءً من غدٍ الأحد، تظاهرة فنّية من أجل غزّة، تتضمّن ثلاثة معارض: **هذا ليس معرضاً** الذي يضمّ 286 عملاً فنّياً لأكثر من مئة فنّان من غزّة، ومعرض للتشكيلي **تيسير بركات** بعنوان **المفقودون**، و**نساء غزّة** الذي يُخصّص للأثواب والحليّ التراثية في غزّة.

تنطلق، الأربعاء المُقبل، في بغداد، فعاليات الدورة الرابعة من **معرض العراق الدولي للكتاب** وتستمرّ حتى الرابع والعشرين من الشهر الجاري، بمشاركة قرابة 350 دار نشر من 16 بلداً. تحمل الدورة اسم فلسطين، وتتضمّن عدداً من الندوات والجلسات الحوارية حول القضية الفلسطينية، ضمن برنامج ثقافي يشمل ندوات فكرية وامسيات شعرية وحفلات توقيع كتب وعروضاً فنّية.

حتى الخميس المُقبل، تتواصل فعاليات الدورة الثالثة عشرة من **مهرجان الأقصر للسينما الأفريقية** في المدينة المصرية، بمشاركة 44 فيلماً من 33 بلداً، تُعرض ضمن أربع مسابقات. افتتحت التظاهرة أمس في «معبد الأقصر» بفقرة عن فلسطين من قصائد الشاعر المصري **فؤاد حدّاد** (1927 - 1985)، وأداء الفنّانة **آية حميدة**.

في قاعات «التياترو» و«الحمراء» و«32 بيس» بتونس العاصمة، تستمرّ، حتى غدٍ الأحد، فعاليات الدورة الرابعة من **مهرجان أولى العروض الكوريغرافية**، والتي انطلقت أوّل أمس بتنظيم من «جمعية البديل الثقافي». تتضمّن التظاهرة تقديم ثلاثة عشر عرضاً من تونس ومالي وفرنسا وكندا، إلى جانب عدد من الورشات التدريبية.